

الفصل الثالث :

التربية العلاجية

في القرآن الكريم

obeikandl.com

نقصد بالتربية العلاجية في القرآن الكريم الحلول والتوجيهات القرآنية التي وضعها القرآن الكريم لعلاج ما تتعرض له النفس الإنسانية من أمراض أخلاقية تتمثل في الجانب المعنوي ، وأمراض عضوية تتمثل في الجانب المادي .
التربية العلاجية للجمل،

يعد الجهل من أخطر الأمراض التي تتعرض لها النفس البشرية ، فبالجهل تحل القيم الفاسدة محل القيم الطاهرة ، وبالجهل يسود الظلام وت تعمق الخلافات بين الناس ، وبالجهل ينكر شرع الله ويستبدل به شرع البشر ، لذلك فإن القرآن الكريم قد وضع لنا برنامجا علاجيا من خلاله نستطيع معالجة هذا الداء لتحل الفضيلة بدل الرذيلة ، والنور بدل الظلام ، والعلم بدل الجهل.

فقد عالج القرآن الكريم داء الجهل عن طريق ،

١- سؤال أهل العلم .

أمر القرآن الكريم بسؤال أهل العلم من أجل التوصل إلى المعرفة والحق الذي ينشده الإنسان ، وكان هذا الأمر غير موقوف عند سؤال أهل العلم من المسلمين ، بل إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، فأمر الله بسؤال أهل العلم حتى ولو كانوا من غير المسلمين، فقد جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

و أهل الذكر هنا - حسب السياق وأقوال المفسرين - هم علماء أهل الكتاب ، ولكن عموم اللفظ يشير إلى ذوي الاختصاص في كل ميدان ..
قال الإمام البغوي : " فاسألوا أهل الذكر يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا ، وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن ، فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن إن كنتم لا تعلمون (٢) .

وعلى كلتا الحالتين فإن سؤال أهل الاختصاص هو علاج من العلاجات التي يقدمها القرآن الكريم في شفاء الفرد والمجتمع من داء الجهل، وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة إلى ضرورة سؤال أهل العلم حتى لا يقع الإنسان في المخالفات التي تسيء إلى نفسه وإلى الآخرين ، فعن عطاء عن جابر قال : " خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمُمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ:

١- سورة النحل : الآية ٤٣.

٢- الحسين بن مسعود ، البغوي، ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك ، مروان سوار، بيروت- لبنان ، دار المعرفة ، ط/٢ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، ج/٣ ، ص/ ٢٣٩ .

قَتَلُوهُ قَتْلَهُمْ اللَّهُ ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَّ وَيَعْرِصَ ، أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ " (١).

٢- الخروج في طلب العلم.

وجه القرآن الكريم المسلمين إلى الخروج في طلب العلم وتحصيله وذلك حرصا على أن يتعلم المسلم العلم الذي قد لا يجده في مكان إقامته فقال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢)

قال مجاهد: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم" (٣).

وقد بين القرآن الكريم حرص الأنبياء على طلب العلم ، فقال تعالى مبينا حرص نبيه موسى عليه السلام على طلب العلم:

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٤)

١- أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود، ك/ الطهارة، ب /المجروح بتييم ، رقم/ ٢٨٤ .

٢- سورة التوبة : الآية ١٢٢.

٣- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، القاهرة- دار الشعب ، ط/٢، ١٣٧٢ ، ج/٨ ، ص/ ٢٩٣

٤- سورة الكهف : الآية ٦٦.

٢- عدم كتمان العلم:

ذم القرآن الكريم كتمان العلم وعدم بيانه للناس وذلك لما يترتب على إخفائه من نشر للجهل ، واستمرار للظلام ، قال تعالى ذاماً أهل المعرفة الذين يخفون علمهم عن الناس ويضللونهم بعدم بين الحق من الباطل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١)

وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه حذر أهل العلم من كتمانهم وإخفائه عن الناس ، وأن هذا الكتمان سيؤدي بأهل العلم الضانين به إلى العقاب الأليم من الله تعالى ، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ " (٢).

٤- الصبر في تحصيل العلم:

بالصبر يحصل الإنسان على مراده، وأعظم مراد الإنسان أن يبصر النور ويرى الحق ويخرج من ظلام الجهل ، ولا يتحصل الإنسان على كل هذا إلا عن طريق العلم ، وقد أخبر الله تعالى عن رحلة موسى عليه السلام في طلب العلم مع الخضر عليه السلام ، فقال تعالى:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٣)

١- سورة البقرة : الآية ١٥٩.

٢- أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، ك/ العلم عن رسول الله ، ب/ كتمان العلم ، رقم/ ٢٥٧٣ .

٣- سورة الكهف : الآية ٦٨ .

لقد علم سيدنا موسى عليه السلام أن الحصول على العلم لا بد له من

صبر ومصابرة ، فقال :

" سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا " وعندما يفقد طالب العلم الصبر في

تحصيل العلوم سيجهل الكثير من دقائق الأمور، ولهذا قال رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- في شأن موسى عليه السلام : "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبْرَ لَقُصَّ

عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا ^(١) .

٥- الإنصات للعالم،

جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٢)

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر

فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك

، وقال: " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ " أي لا تعجل بقراءته " مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ

إِلَيْكَ وَحْيُهُ " أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلان ^(٣) .

ونظير هذه الآية قوله تعالى :

١- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ك/ الأنبياء، ب/ حديث الخضر، رقم / ٣١٤٩ .

٢- سورة طه : من الآية ١١٤ .

٣- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي، ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج/ ٣ ، ص/ ٢٣٣ .

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾^(١)

" لا تحرك به لسانك لتعجل به " ، قال ابن عباس : " كان رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة ، وكان يحرك به لسانه وشفثيه مخافة أن يتفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه " أي علينا أن نجمله في صدرك ثم تقرأه ، فإذا قرأناه أي أنزلناه عليك فاتبع قرآنه أي : فاستمع له وأنصت ، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق وفي لفظ استمع^(٢).
التربية العلاجية للنفس .

حرص القرآن الكريم على صحة المؤمن البدنية والعقلية والنفسية والقلبية ، فقدم الوقاية والعلاج كأسلوب من أساليب المحافظة على النفس البشرية من العلل والأسقام التي قد تصيب الإنسان، لذلك كان لابد من نظرة تربوية علاجية في تفهم آيات الله عز وجل التي أشارت إلى أهمية الأخذ بالإرشادات والأحكام القرآنية في معالجة ما يطرأ على النفس من علل وأسقام.

١- سورة القيامة : الآية ١٦ .

٢- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت(٩١١)، الدر المنثور ، بيروت - دار الفكر، ١٩٩٣ ، ج/٨ / ص ٣٤٨ .

لقد تعرضت النفس البشرية - وخاصة في هذا العصر - إلى جملة من الأمراض النفسية التي أثرت بدورها على سلوك الفرد في علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين ، وكان من أهم هذه الأمراض، الاكتئاب، والقلق، والهستيريا، والوسوسة، والشعور بالضعف والوهن ، والخوف الشديد من الكائنات التي تحيط بالإنسان .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى طريقة العلاج النفسي لهذه الأمراض عن طريق الأمور التالية :

أولا : ترسيط الإيمان في القلوب،

إن للإيمان بالله تعالى تأثيرا عظيما في نفس المؤمن، فهو يزيد من ثقته بنفسه ويزيد قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة ويبث الأمن والطمأنينة في النفس ، ويبعث على راحة البال، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة^(١).

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾^(٢)

يقول الإمام البغوي رحمه الله : لقد قضى الله تعالى في هذه الآية بين إبراهيم وقومه وذلك عندما جرى بينهم حوار حول الانتفاع بالإيمان عند الله

١- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ص/ ٢٤١ .

٢- سورة الأنعام : الآية ٨٢.

تعالى فانزل الله قوله " الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " أي لم يخلطوا أيمانهم بشرك " أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ^(١) ، وهذا ما أكدته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما نزلت عليه هذه الآية ، فعن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال : لما نزلت الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قلنا : يا رسول الله أئنا لا يظلم نفسه قال ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه يا بني لا تُشرك بالله إنَّ الشُّركَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ ^(٢) .

وقال تعالى مبينا أثر الإيمان في تغيير أحوال النفس الإنسانية السلبية

إلى الأحوال الإيجابية :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣)

لقد جعل الله تعالى الإيمان في هذه الآية طريقا هاما في تحقيق الطمأنينة النفسية وإزالة الخوف عنها، فالوعد هنا في التمكين وإزالة الخوف هو للمؤمنين الذين آمنوا بالله حق الإيمان ، وبناء على ذلك : فإن إحداث التغيير في النفس البشرية إلى ما فيه خير وصلاح لا بد له من إيمان عميق بالله سبحانه وتعالى .

١- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي، ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج ٢ ، ص/ ١١٢
٢- أخرجه البخاري : (١٢٢٦ / ٣) ، حديث رقم : ٣١٨١ ، باب : قوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلا ، ط : دار ابن كثير .
٣- سورة النور : الآية ٥٥ .

ثانياً: أداء العبادات والشعائر الدينية:

وجه القرآن الكريم المسلم إلى أداء العبادات كأسلوب من أساليب العلاج النفسي والجسدي معاً، فالصلاة هي دعوة لتنظيف الباطن ، والتخلي عن الفحشاء والمنكر والتخلي بمكارم الأخلاق ، وفيها راحة الضمير ، والتروي في كل الأمور ، واستعادة النشاط كما أن لها من الفوائد الصحية التي تعود على المصلي من تقوية مفاصله، وعضلاته ، ومساعدة المعدة على هضم الطعام ، والسجود الطويل الخاشع له قدرة خارقة في انخفاض ضغط الدم العالي^(١).
قال تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢)

إنَّ ما تحدثه الصلاة من شعور بالأمن وتحرر من القلق يساعد على انطلاق طاقة الإنسان النفسية التي كانت مقيدة في أغلال القلق، فيشعر الإنسان بتدفق النشاط والحيوية في كيانه^(٣).

وشرع القرآن الصوم راحة إجبارية للجهاز الهضمي ، حتى لقد صار الصوم الآن أحدث وسيلة للعلاج من اضطرابات الأمعاء والسمنة ، والبول السكري، والتهاب الكلى ، وارتشاح القلب، والتهاب المفاصل، قال تعالى:

١- موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت - دار

المعرفة، ١٩٨٦ ، ص / ١٤

٢- سورة البقرة : الآية ١٥٣.

٣- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ١٩٨٢ ، ص / ٢٦٠ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)

وشُرع الحج في القرآن الكريم لقهر النفس ، وكبح جماح الشهوات ، والبعد عن حياة الترهل والسمنة ، وتعود الاعتماد على النفس ، وعلى حياة التقشف (٢). قال تعالى :

﴿.... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)

ومن خلال الزكاة تنمو مشاعر المشاركة الوجدانية والعطف على الفقراء وتعود المزكي على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية نحو أبناء وطنه والعمل على إسعادهم ، فمن خلال الزكاة يشعر المسلم بالرضا وبالطهر والطهارة وبالسعادة (٤) ، قال تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥)

ثالثاً: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل ،

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإكثار من ذكره ، سبباً من أسباب

طمأنينة القلب وراحته قال تعالى :

١- سورة البقرة : الآية ١٨٣.

٢- موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، مرجع سابق ، ١٩٨٦ ، ص/ ١٤ .

٣- سورة آل عمران : من الآية ٩٧.

٤- عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت - دار النهضة ، ١٩٨٨ ، ص/ ١٩٨.

٥- سورة التوبة : الآية ١٠٣.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١)

قال أبو الفضل الألويسي رحمه الله في بيان اطمئنان القلب بذكره تعالى :

" إن الموجودات على ثلاثة أقسام ، مؤثر لايتأثر ، ومتأثر لا يؤثر ، وموجود يؤثر يتأثر ، فالأول : هو الله تعالى ، والثاني : هو الجسم فإنه ليس له خاصية إلا القبول للآثار المتنافية والصفات المختلفة ، والثالث : الموجودات الروحانية فإنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عليها منها ، وإذا توجهت إلى أعلام الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام ، فإذا عرف هذا فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليه والتصرف فيه وإذا توجه إلى مطالعة الحضرة الإلهية وحصلت فيه الأنوار الصمدية فهناك يكون ساكنا مطمئنا ، وأيضا أن القلب كلما وصل إلى شيء فإنه يطلب الانتقال منه إلى أمر آخر أشرف منه لأنه لا سعادة في عالم الجسم إلا وفوقها مرتبة أخرى ، أما إذا انتهى إلى الاستسعاد بالمعارف الإلهية والأنوار القدسية ثبت واستقر فلم يقدر على الانتقال من ذلك البتة لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منه " .

١ - سورة الرعد : الآية ٢٨ .

ثم يقول : " إِنَّ سَبَبَ الطَّمَأْنِينَةِ نور يفيضه الله تعالى عن قلب المؤمنين بسبب ذكره فيذهب ما فيها من القلق والوحشة " (١).

وقد أرشدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهمية ذكر الله تعالى في رفع درجاتنا عند الله تعالى ، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (٢).

رابعاً: الرضا بقضاء الله وقدره .

إن مما يبعث الطمأنينة في النفس الإنسانية ويحفزها على العمل و مواصلة السير في طريق الإنجاز والتقدم وعدم اليأس أو القنوط هو إيمانها بأن ما يحدث لها من أحزان ومصاعب وابتلاءات فإنها تقع كلها في دائرة القضاء والقدر الذي أوجده الله سبحانه وتعالى. قال تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٣)

١- محمود الألوسي أبو الفضل، ت(١٢٧٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت - دار إحياء التراث العربي، د ت ، ج/١٣ ، ص/ ١٥٠ .

٢- أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي ، ك / الدعوات عن رسول الله ، ب / منه ، رقم / ٣٣٧٧ .

٣- سورة الحديد : الآية ٢٢ .

خامسا، ممارسة الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة:

أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن سلامة الخلق تؤدي إلى سلامة النفس ، وأن الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخلق والجنوح هي ذاتها التي قد تؤدي إلى الأمراض النفسية والعقلية، وعلى ذلك : فالتحلي بالقيم الخلقية سبيل إلى التمتع بالصحة النفسية والعقلية والانحراف الخلقي عادة يؤدي إلى الانحراف العقلي^(١).

وفي القرآن الكريم إرشادات كثيرة ترشد إلى ممارسة الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة ، فمن الأخلاق الفاضلة التي تدعو الآيات القرآنية المسلم إلى ممارستها

أ- خلق الأمانة.

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ۖ فَإِنْ أَثِمَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ ۚ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَاثِمٌ قَلْبُهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(٢)

ب- الإحسان:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾^(٣)

١- عبد الرحمن العيسوي ، الإسلام والعلاج النفسي الحديث ، مرجع سابق، ص/ ١١ .

٢- سورة البقرة : الآية ٢٨٣.

٣- سورة البقرة : الآية ١٩٥.

ج- الاستقامة:

قال تعالى:

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

د- إصلاح ذات البين:

قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

هـ- الإيثار:

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

وقد حذر القرآن من ممارسة الأخلاق السيئة التي لها اثر كبير في اضطرابات النفس الإنسانية ومن هذه الأخلاق.

١- سورة يونس : الآية ٨٩.

٢- سورة الأنفال : الآية ١.

٣- سورة الحشر : الآية ٩.

أ - اتباع الهوى؛

قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ (١)

ب - التكبر والاختيال؛

قال تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ
طُولًا﴾ (٢)

ج - الإسراف والبخل؛

قال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مَّحْسُورًا﴾ (٣)

د - البغض والكراهية؛

قال تعالى:

١ - سورة القصص : الآية ٥٠ .

٢ - سورة الإسراء : الآية ٣٧ .

٣ - سورة الإسراء : الآية ٢٩ .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿١﴾
 هـ - سوء الظن؛

قال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢﴾

وقد حقق القرآن نجاح هذا العلاج عن طريق اتباعه الأساليب

العلاجية التالية.

١- التربية العلاجية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٣﴾
 ٢- التربية العلاجية عن طريق الأسوة الحسنة في الاتباع والمحاكاة؛

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿٤﴾

١- سورة المائدة : الآية ٩١ .

٢- سورة الحجرات : الآية ١٢ .

٣- سورة الحجج : الآية ٤١ .

٤- سورة الممتحنة : الآية ٦ .

وقال أيضا:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١)

٢- التربية العلاجية عن طريق الترغيب والترهيب:

قال تعالى

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍ^ط وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا
مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢)

٤- التربية العلاجية بضرب الأمثال :

قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ
مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٣)

قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ
يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤)

٥- التربية العلاجية عن طريق القصص القرآني المؤثر في النفس الإنسانية:

١- سورة الأحزاب : الآية ٢١.

٢- سورة الأنعام : الآية ١٦٠.

٣- سورة النحل : الآية ١١٢.

٤- سورة الزمر : الآية ٢٩.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثُبُتَ بِهِ فُؤَادُكَ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

التربية العلاجية للعصاة والمذنبين:

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب (٣).

ولا يخفى على العاقل ما للذنوب من آثار وأضرار على عقل الإنسان، فما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي

١- سورة يوسف: الآية ١١١.

٢- سورة هود: الآية ١٢٠.

٣- شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، ت (٧٥١)، الداء والدواء، مصر - المنصورة، مكتبة الإيمان ١٩٩٤، ص/ ٤٣.

داره وعلى بساطه ،وملائكته شهود عليه ناظرون إليه ، وواعظ القرآن ينهاه ، وواعظ الإيمان ينهاه ، وواعظ الموت ينهاه ، وواعظ النار ينهاه ، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها ، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله ، والاستخفاف به ذو عقل سليم ^(١) .

وقد قدم القرآن الكريم علاجه لأهل المعاصي والذنوب عن طريق التوبة والعودة إلى الله تعالى ، ويمكننا أن نستفيد من هذه الوصفة العلاجية ونحققها في حياة هؤلاء المذنبين عن طريق بيان الأمور التالية .

١- بيان فضل التوبة وأثرها على حياة المذنب :

إنَّ مما يساعد المذنب على تجرع دواء التوبة هو معرفته بفضلها وأثرها عليه إن تاب وعاد إلى الله تعالى ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :
" لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ لِأَبَايَعُكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي ، قَالَ مَالِكُ : قُلْتُ : أُرِدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ تَشْتَرِطُ مَاذَا ؟ قُلْتُ : أَنْ يَغْفِرَ لِي ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ^(٢) . وَبِالتَّوْبَةِ يَسْتَطِيعُ الْمَذْنِبُ أَنْ يَتَعَاشَرَ مَعَ الطَّائِعِينَ وَيَنْسَجِمَ مَعَ مَا حَوْلَهُ مِنْ كَائِنَاتٍ ، قَالَ تَعَالَى :

١- المرجع السابق، ص/ ٦٣.

٢- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت(٩١١)، الدر المنثور ، مرجع سابق، ج/٤، ص/ ٦٤ .

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۖ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقد أخبر الإمام الطبري رحمه الله عن حالة التحول الكبيرة التي تحدث في حياة التائب عندما يعود إلى الله تعالى، حيث يقول في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢)

فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فأبدلهم بالشرك إيماناً وبالزنا عفة وإحصاناً ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالاً مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بكناح المشركات نكاح المؤمنات (٣) .

٢- بيان قبول الله تعالى توبة المذنب إذا تاب و عاد إليه،

أوضح القرآن الكريم بما لا يحتاج إلى سرد الأدلة الدالة على قبول الله تعالى توبة من تاب وعاد إليه ، فقد جاء التوكيد من الله تعالى في قبول التوبة في أكثر من آية في كتابه حيث قال تعالى:

١- سورة التوبة : الآية ١١ .

٢- سورة الفرقان : الآية ٧٠ .

٣- محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر ، ت (٣١٠) ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، بيروت- دار الفكر ١٤٠٥ هـ، ج/ ١٩ ، ص/ ٤٦ .

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

٢- عدم القنوط من رحمة الله تعالى.

يعد القنوط من أخطر الحالات النفسية التي تصيب العاصي ، فبه يزداد العاصي نفورا وبعدا عن الصواب، ولذلك عالج القرآن هذه الحالة ببيان سعة رحمة الله في قبول توبة التائب قال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)

ومعنى قوله : " لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ " أي لا تيأسوا من مغفرته سبحانه وتفضله عز وجل (٣).

وقد صور القرآن الكريم مدى شدة الحالة النفسية التي يكون عليها العاصي والمذنب عندما يجد طريق التوبة قد أغلق في وجهه ، قال تعالى :

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٤)

١- سورة المائدة : الآية ٣٩ .

٢- سورة الزمر : الآية ٥٣ .

٣- محمود الألوسي ، أبو الفضل ت (١٢٧٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ج/ ٢٤ ، ص ١٥ .

٤- سورة التوبة : الآية ١١٨ .

ففرج الله تعالى عن نفوسهم وأزال عنها حالة الضيق والاختناق بأن
تاب عليهم وقبل توبتهم.

٤- بيان كيفية التوبة :

أرشد القرآن الكريم التائب إلى كيفية التوبة التي تقبل عند الله تعالى،
وذلك عن طريق الخطوات الآتية :
أ - الاستغفار.

يعد الاستغفار الخطوة الأولى في إعلان التوبة لله عز وجل ، فهو طلب
المغفرة من الله تعالى بأن يتجاوز عما قد ارتكبه المذنب من معاصي وآثام ،
وقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : كنت إذا سمعت حديثاً من رسول
الله - صلى الله عليه وسلم- نفعتني الله به ما شاء وإذا سمعته من غيره حلفت
وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي
ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم تلا قوله تعالى (١) :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا
رَّحِيمًا ﴾ (٢)

١- محمد بن أحمد ، القرطبي ، أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ط/٢، ١٣٧٢، ج ٥/
ص/ ٣٨٠ .

٢- سورة النساء : الآية ١١٠ .

ب - الندم على فعل الذنب

إن ندم التائب على ذنبه دليل على صدق توجهه إلى الله تعالى، فبه يستشعر المذنب مدى الفراغ الذي أحدثه في علاقته مع رب العالمين ، ولذلك كان عدم الإصرار على المعصية سببا في قبول الله تعالى لتوبته. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

ج- رد حقوق الآخرين وطلب العفو منهم.

حَرَصَ القرآن الكريم على سلامة المجتمع من انتشار الشحناء والبغضاء بين أفرادهِ ، ولذلك كان لابد للمذنب من رد الحقوق إلى أصحابها وطلب العفو والمسامحة ممن كان قد ظلمه حتى تتصافى النفوس وتطمئن القلوب ، ويعيش المذنب في كنف من أساء إليه بكل حب وسلامة صدر ، وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم عندما قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

١- سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ (١)
 د - الانتقال والبعد عن أماكن المعصية:

نهى القرآن الكريم عن الجلوس أو القعود في الأماكن التي يعصى فيها
 الله سبحانه وتعالى وأمر بمغادرتها في حال استمرار ارتكاب المعصية فيها
 لأنها أصبحت مكانا للظالمين الذين يستحقون العذاب من الله (٢) ، قال
 تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي
 حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣)

وقدر أرشد إلى ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قصة
 الرجل الذي قتل مائة نفس، وذلك عندما طلب العالم من المذنب مغادرة
 المكان الذي كان قد عصى الله فيه (٤) .

٤ - ممارسة الأعمال الصالحة:

لقد أخبر الله تعالى أنه أوجب على نفسه أشياء تقتضي التحقيق ،
 ومنها قبوله توبة من تاب إليه وعمل صالحاً (٥) قال تعالى:

١- سورة النساء : الآية ٩٢ .

٢- أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي، تفسير النسفي، د . ت ، ج / ١ ، ص / ٢٥٥ .

٣- سورة الأنعام : الآية ٦٨ .

٤- حديث أخرجه، مسلم ، صحيح مسلم ، ك/ التوبة ، ب/ قبول توبة القاتل وان كثر قتله ، رقم / ٤٩٦٨ ،

٥- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١) ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/ ٤
 ص / ١١ .

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (١)

وعلى ذلك حتى يتحقق قبول توبة التائب لابد له من ممارسة الأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله تعالى ، فيصبح في عداد الذين يحبهم الله ويحبونه ، قال تعالى :

﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢)

التربية العلاجية لبعض القضايا الأسرية.

حرص القرآن الكريم على بقاء الحياة الزوجية حياة آمنة مطمئنة يسودها الحب والوئام ، وما إن تتعرض الحياة الأسرية إلى بعض الفيروسات التي تفسد علاقة المحبة بين أفراد الأسرة ، إلا ونجد القرآن الكريم يقدم لها العلاج والدواء المناسب من أجل الحفاظ على هذه المملكة الصغيرة من الانهيار.

قدم لنا القرآن الكريم العلاج الإيماني لما قد شاب الحياة الأسرية من المنغصات عن طريق إرشاداته وتوجيهاته في القضايا الأسرية التالية والتي تعد سلوكيات خاطئة في الحياة الزوجية.

١- سورة طه : الآية ٨٢.

٢- سورة البقرة : الآية ٢٢٢.

قال تعالى:

﴿....وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ (١)

جاء في معنى النشوز: "أنه الارتفاع، وقوله تعالى: "وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ" أي: معصيتهن وتعالين عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج والنشوز بُغض المرأة للزوج أو الزوج للمرأة، يقال: نشزت عليه: أي ارتفعت (٢)

من خلال الآية الكريمة يخبرنا القرآن الكريم عن كيفية استخدام العلاج القرآني في معالجة هذا النشوز، فالبداية تكون بالوعظ فإن لم يحقق الوعظ الغاية المرجوة لجأ الزوج إلى الهجر، فإن لم ينفع معها هذا الأسلوب لجأ الزوج إلى الضرب، فإن لم تستجب الزوجة لزوجها بعد استخدام كل هذه الأساليب، ينظر في أمرهما حكما من أهلها، وحكما من أهله.

وقد بين الإمام البغوي رحمه الله طريقة استخدام هذا العلاج فقال:

١- سورة النساء: من الآيات ٣٥ : ٣٦ .
٢- شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ت(٨٥٣)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق فتحي أنور الدابولي، طنطا - دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٢، ص/ ٦٦ .

" هذه الأفعال على ترتيب الجرائم ، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق ، وعَظَهَا ، فإن أبدت النشوز هجرها ، فإن أصرت على ذلك ضربها ، وقوله تعالى : " وإن خفتم شقاق بينهما " يعني خلافا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين ، وقيل هو بمعنى الظن ، يعني إن ظننتم شقاق بينهما ، وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصّح ولا الفرقة ، ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية ، وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا بعث الإمام حكما من أهله إليه وحكما من أهلها إليها ، رجلين حريين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصّح أو في الفرقة ، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصّح ، فذلك قوله عز وجل : " فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا " - يعني الحكمين - " يوفق الله بينهما " - يعني بين الزوجين - ^(١) .

٢- معالجة قضية الطلاق .

إذا لم يتمكن الحكمان من علاج الخلافات الواقعة بين الزوجيين فإن الطلاق يعدّ علاجاً ضرورياً في مثل هذه الحالات ، لأن استمرارية الحياة الزوجية على هذا الحال قد تنجم عنه أضراراً كبيرة لا يحمد عقباها ، من

١- الحسين بن مسعود ، البيهقي ، ت (٥١٦) ، معالم التنزيل ، مرجع سابق ، ج/١ ، ص/٤٢٣ .

إضرار بالزوجة أو إضرار بالزوج ، ولذلك شرع القرآن الكريم الطلاق ، قال تعالى:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ (١)

جعل القرآن الكريم الطلاق مرتين حرصا على إمكانية العودة إلى عيش الحياة الزوجية مرة أخرى. وقد نظم القرآن هذا العلاج تنظيما دقيقا بحيث يحقق إمكانية علاج الخلافات المستعصية بين الزوجين وأعطى كلا منهما فرصة لمراجعة نفسه ، والوقوف على مدى الأضرار التي قد تنجم عن فراقهما ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (٢)

لقد نظم القرآن هذا العلاج بما قد يحقق إمكانية المراجعة بين الزوجين، حيث وجه الزوج عند رغبته في طلاقها أن يوقعه في حالة طهرها ، لأن ذلك أدعى إلى ميل النفس لمراجعتها وعدم فراقها، ونهى عن طلاقها في مدة حيضتها لأن النفس عادة لا ترغبها في مثل هذه الحالة ، ثم أرشد إلى

١- سورة البقرة : من الآية ٢٢٩.

٢- سورة الطلاق : الآية ١ .

قضاء الزوجة عدتها في بيت زوجها لأن ذلك قد يكون أقرب الطرق إلى رغبته في إرجاعها وإمساكها بالمعروف، والندم على طلاقها أو مفارقتها^(١).

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى: "لَعَلَّ اللَّهَ تَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا". الأمر الذي يحدثه الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيرجعها، وقال جميع المفسرين أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة^(٢).

وإذا استمرت الحالة على ما هي عليه من الخلاف والشقاق، فإن الطلاق هو العلاج الأنسب لهذه الحالة، قال تعالى: "فَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" البقرة الآية.

ولم يقف العلاج القرآني عند هذا الحد، بل أرشد إلى علاج بعض القضايا التي تنتج عن الطلاق، بما يضمن سلامة المجتمع من التفكك والتخلي عن الواجبات قال تعالى:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فاستَرْضِعُوا لَهُنَّ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ

١- أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي، تفسير النسفي، ج/ ٤، ٢٥٤.
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/ ١٨، ص ١٥٦

مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
يُسْرًا ﴿١﴾

أمر القرآن الكريم الرجل الإنفاق على مطلقته إن كانت ذات حمل حتى تضع حملها ، وإذا أرادت المرأة المطلقة إرضاع ولدها ، فعلى الرجل أن يعطيها أجرها على إرضاعه ، وإن لم يتفقا على أجره الرضاعة أوفضت الأم إرضاعه فعند ذلك يسترضع له مرضعة أخرى غير أمه ، ولا تكره الأم على إرضاعه^(٢) .

٢- معالجة قضية الخلع.

إذا خافت المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه ، وخاف الزوج أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته ، جازلها أن تطلب فراقه على أن تدفع له فدية مقابل ذلك ، وجازله أن يأخذ منها ما افتدت به^(٣) ، قال تعالى:

﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤)

١- سورة الطلاق : الآيات ٦ : ٧ .

٢- علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ت (٤٦٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، صفوان عدنان داوودي ، دمشق دار القلم ، ١٤١٥ ، ج/٢ ، ص/ ١١٠٨ .

٣- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت(٥٩٧)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت -المكتب الإسلامي ط/٤، ١٤٠٤ ، ج/٣ ، ص/ ٢٦٥ .

٤- سورة البقرة : من الآية ٢٢٩ .

وقد نزلت هذه الآية في زوجة ثابت بن قيس ، فعن ابن عباسٍ أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَنْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتَبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبِلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقِيهَا تَطْلِيقَةً^(١) .

ولم يترك القرآن الكريم هذا الأمر بدون بيان وتوضيح ، بل حرم على الزوج الأخذ مما افتدت به الزوجة إن كان يمسكها ليضر بها أو ليعتدي عليها^(٢) قال تعالى :

﴿... وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(٣)

٤- معالجة قضية الخيانة الزوجية عن طريق الشهود والملاعنة:

حرص القرآن الكريم على سلامة الأعراس والأنساب فعمل على وضع العلاج الذي يضمن للرجل المحافظة على عرضه ونسبه، ويضمن كذلك للمرأة المحافظة على عرضها وشرفها من الإساءة ونشر الأكاذيب والافتراءات، ولذلك شرع اللعان، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ

١- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ك/ الطلاق ، ب/ الخلع وكيف الطلاق فيه ، رقم /٤٨٦٧ .

٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١) ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ، ج/ ٣ ص/ ١٣٦ .

٣- سورة البقرة : من الآية ٢٢٩ .

تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦١﴾^(١)

قال ابن كثير رحمه الله : " أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن
سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك
، فقال يا رسول الله إن الله يعلم أنني لصادق ولينزلن الله عليك ما يبرئ به
ظهري من الجلد ، فأنزل الله آية اللعان ، قال : فدعاه النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال : أشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا ، فشهد
بذلك أربع شهادات ، ثم قال له في الخامسة ، ولعنة الله عليك إن كنت من
الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ، ففعل ، ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال قومي فاشهدي بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا ،
فشهدت بذلك أربع شهادات ، ثم قال في الخامسة وغضب الله عليك إن كان
من الصادقين فيما رماك به من الزنا ، قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة
سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف ، ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم
، فمضت على القول ، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، وقال
انظروا إن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء ، وإن

١- سورة النور : الآيات ٤ : ٦ .

جاءت به أبيض سبطا فضي العيين فهو لهلال بن أمية ، فجاءت به آدم جعدا حمش الساقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن^(١) .

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من ألحقت بقوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ، فعن أبي هريرة قال : لما نزلت آية اللعان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَيُّ امْرَأَةٍ أَحَقَّتْ بِقَوْمٍ مِّنْ لَّيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَلَوْ يُدْخِلُهَا جَنَّتُهُ وَأَيُّ رَجُلٍ أَنْكَرَ وَلَدَهُ وَقَدْ عَرَفَهُ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ " (٢) .

٥- علاج هجر الزوج لزوجته في الفراش

تعد قضية الإيلاء من أهم السلوكيات الخاطئة التي عالها القرآن الكريم في الحياة الأسرية ، قال تعالى :

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣)

والإيلاء من المرأة هو : أن يقول الزوج والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر، أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما هو أقل من ذلك ، وحكمه أنه إن رجع إليها في المدة بالوطء إن أمكن أو بالقول إن

١- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ت(٧٧٤) ، تفسير القرآن العظيم، بيروت- لبنان، دار الفكر ١٤٠١هـ، ج/ ٣، ص/ ٣٦٩
٢- أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ك/ الفرائض، ب/ من أنكر ولده ، رقم/ ٣٧٣٣ .
٣- سورة البقرة : الآية ٢٢٦ .

عجز عنه صح الرجوع وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ، ولا كفارة على العاجز، وإن مضت الأربعة بانث بتطليقة ، ولهم أن ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة برجعة أو طلاق فإن رجعوا عن اليمين بالحنث " فإن الله غفور رحيم " أي يغفر للزوج برجعته التي هي كتوبته ، أو يغفر له ما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة^(١).

١- قضية الظهار :

يتصف القرآن الكريم بأنه منهج الحياة وبه تنظم طريقة العيش ، وبه تصح المفاهيم والمعتقدات ، ولذلك اتبع القرآن الكريم المنهج العلاجي في توجيه المرء إلى حسن التصرف والعيش في تعامله مع أهل بيته ، فقد عاب على أولئك الذين جعلوا زوجاتهم مثل أمهاتهم ، فظاهروا من زوجاتهم ، والظهار هو : أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي ، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي^(٢) . قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾^(٣)

١- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ت(٩٥١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت - دار إحياء التراث العربي، د ت ، ج/١ ، ص/ ٢٢٤ .

٢- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي ، ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق ، ج/ ٤ ، ص/ ٣٠٥ .

٣- سورة المجادلة : الآية ٢ .

ثم وضع لهم القرآن العلاج الذي عن طريقة يستطيعون تعديل سلوكياتهم الخاطئة في الحياة الأسرية . فقال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ (١)

رتب القرآن معالجة هذا السلوك الخاطئ بأن يعتق الرجل رقبة من قبل أن يتماسا ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وهنا جازله الوطاء قبل الإطعام ، فهو لم يقيده كتنقيده الوطاء بتحرير الرقبة والصيام (٢) .

التربية العلاجية للقضايا الاقتصادية،

أولا- التربية العلاجية عن طريق تحقيق العدالة الاقتصادية،

نعني بالعدالة الاقتصادية : " المساواة في الإمكانيات ، العدالة في توزيع الثروة التوزيع العادل للمواد الأولية الطبيعة على أفراد المجتمع، المساواة في توفير فرص العمل والتمتع بالحق القانوني الذي يتضمن القيمة الواقعية للعمولة مع الحق الواقعي (الحصة) للأفراد (٣) .

١- سورة المجادلة : الآيات ٣ : ٤ .

٢- المرجع السابق . ج/ ٤ ، ص/ ٣٠٥ .

٣- رضا حق بناء العدالة والتنمية الاجتماعية في القرآن، مجلة البصائر، العدد/ ٣٢ ، ٢٠٠٤ ، ص/ ٧٦ .

ولا تفصل العدالة الاقتصادية عن الهدف الأصلي للدين ، والذي يكمن في السمو الروحي للإنسان على صعيد العلم والعمل، وقد استهدفت بعض التعاليم الاقتصادية في الإسلام تربية الإنسان وتهذيبه، الأمر الذي يجعل هذه المسألة تصب هي الأخرى في إطار ذلك الهدف الأسمى ، ومن ذلك - على سبيل المثال - اشتراط النية وقصد القربة في أداء الخمس والصدقة ، وذلك لسد حاجات الفقراء وإيجاد حالة من التوازن الاقتصادي من جهة ، وكونه يمثل ذكرا لله وتقربا إليه من جهة أخرى ، إلى جانب تمرين الفرد على النأي بنفسه بعيدا عن التعلق بأموال الدنيا وزخارفها ، ولذلك فدورها التربوي لا يخفى في هذه الأمور، والحق أن الإسلام يرى الأخلاق والاقتصاد حقيقة واحدة تأبى الانفصال^(١).

وتدل سائر الآيات من قبيل قوله تعالى :

﴿ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾^(٢)

وقوله :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّهُ ٱوَّلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا

١ - المرجع السابق ، ص / ٧٧ .

٢ - سورة الشورى : من الآية ١٥ .

أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾

بصورة عامة على مطلوبة العدالة بكافة أبعادها ، لاسيما في المجال الاقتصادي وأن أهداف الشريعة الإسلامية المقدسة إنما في إقامة العدل والقسط في الجانب الاقتصادي^(١).

ثانيا- التربية العلاجية عن طريق علاج ظلم الإنسان وكفرانه بالنعمة^(٢) :

لقد رتب الله في القرآن الكريم للظلم عقوبة في الدنيا قبل الآخرة وذلك حرصا على تطهير المجتمعات من ظلم الإنسان لنفسه ولأخيه الإنسان ، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ ﴿٨٧﴾^(٤)

ثم بين لنا القرآن الكريم الآثار التي قد تنجم عن الكفر بنعم الله سبحانه وتعالى قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ﴿٢٨﴾^(٥)

١- سورة النساء : الآية ١٣٥ .

٢- نفسه ، ص/ ٧٨ .

٣- محمود السرطاوي ورفاقه، نظام الإسلام، عمان - المكتبة الوطنية، ١٩٩٦ ، ص/ ٢٢٥ ، وانظر محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ٣٤٨ - ٣٥٤ .

٤- سورة الكهف : الآية ٨٧ .

٥- سورة إبراهيم : الآية ٢٨ .

وقد جعل القرآن الكريم كفران النعمة نوعا من أنواع ظلم الإنسان لنفسه ولغيره ، ثم جعله سببا في ذهاب رغد العيش وسوء الأحوال الاقتصادية والأمنية على حد سواء ، قال تعالى :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(١)

ثالثا: التربية العلاجية عن طريق معالجة مشكلة الفقر ^(٢) :

وضع القرآن الكريم وسائل عملية في معالجة الفقر عند وقوعه ، وذلك من خلال ما قدمه من أوامر وإرشادات للمسلم في كيفية تعامله مع مفهوم الاستخلاف في الأرض الذي كلفه الله به ، ومن هذه الوسائل :

أ: العمل ،
العمل من أهم الوسائل الكفيلة للقضاء على المشكلة الاقتصادية التي تكون سببا في الفقر، ونظرا لأهمية العمل ، فقد جاء في القرآن الكريم ما يكفل تحقيقه، حيث جعل القرآن الكريم العمل عبادة، قال تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣)

١- سورة النحل : الآية ١١٢ .
٢- يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، القاهرة - دار غريب للطباعة، ط/٤، ١٩٨٠، ص/١٣ .
٣- سورة التوبة : الآية ١٠٥ .

وقال أيضا:

﴿... فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١)

ب: التكافل الاجتماعي .

نعني بالتكافل الاجتماعي مساعدة المسلم لإخوانه الفقراء والقيام بكل ما يحقق الود معهم ، فقيام المسلم بعمل طيب تجاه أخيه الفقير أمر واجب ، وبناء على ذلك يجب على كل مسلم غني تأدية ما عليه من زكاة ، وليبادر إلى منحها لأقاربه وجيرانه الفقراء أولاً ، ثم لمن شاء من المحتاجين الآخرين. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

رابعا - التخطيط والتنظيم الاقتصادي:

يعد التخطيط والتنظيم الاقتصادي عاملا مهما في معالجة المشكلة الاقتصادية، وقال تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام في اتباعه أسلوب التخطيط و التنظيم الاقتصادي في حل الأزمة الاقتصادية التي تتعرض لها البلاد :

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ

١- سورة الجمعة : من الآية ١٠ .

٢- سورة التوبة : الآية ٦٠ .

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصُنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ (١)

ومن أساليب العلاج التي اتبعتها يوسف عليه السلام في مواجهة الأزمة الاقتصادية أنه عمل على تنظيم التجارة بحيث يعطي كل رجل يأتي إليه حمل بغير ولا يزيد عليه ، وذلك حتى يبقى الاقتصاد في حالة من الاستقرار والتوازن قال تعالى:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَّبَانَا مَا نَبْغِي
هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ
ذَلِكَ كَيْلٌ يُسِيرُ﴾ (٢)

قال الإمام البيضاوي في معنى قوله تعالى : " ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير" أي نزداد وسق بعير باصطحاب أخينا، وقد استقلوا ما كيل لهم ،
فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم (٣).
التربية العلاجية للانحرافات السلوكية التي تحدث في المجتمع :

عالج القرآن الكريم بعض الانحرافات السلوكية في المجتمع عن طريق
تفعيل دور كل من.

١- سورة يوسف : الآيات ٤٧ : ٤٩ .

٢- سورة يوسف : الآية ٦٥ .

٣- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي، ت(٧٩١) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق عبد القادر عرفات العشاحسونة ، بيروت- لبنان، دار الفكر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج/ ٣ ، ٢٩٨ .

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الوقوف في وجه الظلام ،
والعمل على إزالته من المجتمعات حتى تنعم الإنسانية بالنور والهداية الإلهية،
قال تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

وبين الله تعالى في القرآن الكريم دور الأنبياء في معالجة الانحرافات
السلوكية حيث كان كل نبي يقوم بمعالجة ما يوجد في مجتمعه من انحرافات
ومخالفات ، فنوح عليه السلام كان يحاول معالجة انحراف مجتمعه في عبادة
الأصنام، وكذلك إبراهيم عليه السلام كان يحاول معالجة انحراف مجتمعه في
عبادة الكواكب والنجوم ، وموسى عليه السلام يحاول معالجة انحراف
مجتمعه في عبادة فرعون ، وشعيب عليه السلام يحاول معالجة انحراف
مجتمعه في تطفيف الميزان ، ولوط عليه السلام كان يحاول معالجة انحراف
مجتمعه في الشذوذ الجنسي والأخلاقي، ومحمد عليه السلام كان يحاول
معالجة مجتمعه من كثير من الانحرافات العقائدية والأخلاقية والاقتصادية.

ب - القصاص و الحدود.

الجزاء والعقاب في شرعة الإسلام إما أخروي وإما دنيوي ، والعقاب الأخروي مرده إلى الله تعالى، إن شاء عذب العاصي ، وإن شاء غفر ورحم ، والله غفور رحيم، وهو شديد العقاب، والمؤمن الحق يخشى من عقاب الآخرة وعذاب النار أكثر من عقاب الدنيا ، والعقوبة الأخروية يملئها قانون الحق والعدل الإلهي إذا لا تسوية بين الطائعين والعاصين والعقوبة الدنيوية لابد لها من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان وصيانة الأعراض ، ومن هذه العقوبات التي شرعها الحق عز وجل^(١) :

ب/١ - عقوبة القتل

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۖ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۖ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۖ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۚ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾^(٢)

١- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق - دار الفكر ، ط/٢ ، ١٩٨٥ ، ج/٩ ، ص/ ٦٧٦ .

٢- سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

ب/ ٢ - حد الزنا

قال تعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

ب/ ٢- - حد القذف

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢)

ب/ ٤- حد السرقة.

قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣)

ب/ ٥- حد الحراقة.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ

١- سورة النور : الآية ٢ .

٢- سورة النور: الآية ٤ .

٣- سورة المائدة: الآية ٣٨ .

الْأَرْضِ^ج ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ (١)

التربية العلاجية للأمراض العضوية،

نقصد بالتربية العلاجية للأمراض العضوية ، توجيهه من أصيب بمرض إلى طلب الاستشفاء بكلام الله تعالى، بحيث يبتعد عن العلاج بالشعوذة والتلبيسات التي يقوم بها السحرة والمنجمين ، آمليين بذلك أن نحافظ على حسن سلوك المريض وفق ما يريد الله تعالى، وكما أن القرآن الكريم هو شفاء للنفوس فهو أيضا شفاء للأبدان من الأسقام ، قال تعالى:

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٢)

أي تقويم واستصلاح للنفوس، كالدواء الشافي للمرض ، وقيل : إن "من" هنا للبيان ، فإنَّ كله كذلك ، وقيل : إنها للتبويض ، والمعنى أن منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء^(٣).

ويمكننا أن نقول إن التربية العلاجية للأمراض العضوية في القرآن الكريم يمكن استخدامها عن طريق الأمور التالية.
أولاً: عن طريق الرقية الشرعية بالآيات القرآنية،

١- سورة المائدة : الآية ٣٣ .

٢- سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

٣- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي ت(٧٩١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مرجع سابق ، ج ٣ ص/ ٤٦٣ .

أ - العلاج بسورة الفاتحة :

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء) ^(١) وهذا ما دل عليه ما حدث مع بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يصيغهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلنا أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء ؟ ، فقال بعضهم : نعم والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استصفناكم فلم تضيغونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على قطع من الغنم ، فانطلق ينفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكانت شط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذي كان ، فنظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ، ثم قال : قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهماً ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢).

ومما يؤكد على صحة العلاج بفاتحة الكتاب ما ورد عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه قال : أقبلنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا على حي

١ - أخرجه الدارمي، سنن الدارمي، كتاب/ فضل القرآن ، باب/ فضل فاتحة الكتاب، رقم/ ٣٢٣٦ .
٢ - أخرجه، البخاري، صحيح البخاري، ك/ الإجارة، ب/ ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، رقم/ ٢١١٥ .

مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا إِنَّا أَنْبِئْنَا أَنْكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رُقْيَةٍ فَإِنْ عِنْدَنَا مَعْتُوهَا فِي الْقِيُودِ ، قَالَ : فَقُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : فَجَاءُوا بِمَعْتُوهُ فِي الْقِيُودِ ، قَالَ : فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بُزَاقِي ثُمَّ أَتَقَلُّ فَكَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ . قَالَ : فَأَعْطُونِي جُعَلًا ، فَقُلْتُ : لَا حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُلُّ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةٍ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقْيَةٍ حَقٍّ ^(١) .

يتبين لنا من خلال الأحاديث السابقة أن سورة الفاتحة هي شفاء من الأمراض والأسقام كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا بدوره يعزز ثقة المسلم بربه وصدق التوجه إليه.
ب- العلاج بسور الإخلاص والمعوذتين من السحر والعين.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى من ألم في جسده قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءً بَرَكَتِهَا ^(٢) .

وقد عالج جبريل عليه السلام رسول الله بسورتي الفلق والناس من السحر الذي عمل له، فعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما أستفتيته فيه، أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند

١- أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود ، ك/ الطب، ب/ كيف الرقى، رقم/ ٣٤٠٢ .
٢- أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، ك/ فضل القرآن ، ب/ فضل المعوذتين، رقم / ٤٦٢٩ .

رجلي ما شأن الرجل؟ قال : مطلوب ، قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم ، قال: في ماذا ، قال : في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي أوران ، فجاء البئر واستخرجه، فكأنه نقاعة الحناء فإذا هو مشاطة رأس إنسان وأسنان من مشط ، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد ، وأمر أن يتعوذ بهما ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة فكأنما أنشط من عقال^(١).

ج- العلاج بما وصفه القرآن بأن فيه شفاء ،

لقد أرشد القرآن الكريم إلى الأهمية العلاجية للعسل ، فقال تعالى:

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)

قال الإمام القرطبي : قال الجمهور في قوله تعالى : (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ، الضمير للعسل أي في العسل شفاء للناس ، واختلف العلماء في قوله تعالى (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) هل هو على عمومه أم لا ؟ ، فقالت طائفة : هو على العموم في كل حال ولكل أحد، فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلا حتى الدمّل إذا خرج عليه طلى عليه عسلا ، و حكى النقاش

١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ، ج/ ٢٠ ص/ ٢٥٣

٢- سورة النحل : الآية ٦٩ .

عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل، وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض ، ف قيل له : ألا نعالجك ؟ ، فقال : ائتوني بالماء ، فإن الله تعالى يقول : " ونزلنا من السماء ماء مباركا " ، ثم قال : ائتوني بعسل ، فإن الله تعالى يقول : " فيه شفاء للناس " ، وائتوني بزيت ، فإن الله تعالى يقول : من شجرة مباركة فجاءوه بذلك ، فخلطه جميعا ، ثم شربه فبرىء ، ومنهم من قال: إنه على العموم إذا خلط بالخل ويطبخ فيأتي شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء، وقالت طائفة : إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان ، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض ، وعلى حال دون حال ، ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للأدوية في الأشربة والمعاجين ^(١).

وقال الإمام البغوي ^(٢): يخرج من بطونها شراب يعني العسل ، مختلف ألوانه أبيض وأحمر وأصفر فيه شفاء للناس ، فعن أبي سعيد الخدري ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلا فسقاه ، ثم جاء ، فقال إني سقيته فلم يزد إلا استطلاقا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة ، فقال : اسقه عسلا ، قال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقا ،

١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١) ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/ ١٠ ، ص/ ١٣٧

٢- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي ، ت (٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج/ ٣ ، ص/ ٧٣ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبراً^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالشفاءين القرآن والعسل)^(٢).

د- العلاج بالدعاء :

والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ، والسلاح بضاربه ، لا بحدّه فقط ، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به ، والسلاح ساعد قوي ، والموانع مفقود حصلت به الكناية في العدو ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

قال تعالى في بيان استجابته دعاء نبيه أيوب عليه السلام :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾^(٣)

١- أخرجه البخاري، صحيح البخاري ، ك/ الطب ، ب/ دواء المبطون ، رقم / ٥٢٧٧ .

٢- أخرجه ابن ماجه ، سنن ابن ماجه، ك/ الطب ، ب/ العسل ، رقم/ ٣٤٤٣ .

٣- سورة الأنبياء : الآيات ٨٣ : ٨٤ .

قال ابن كثير: " يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام ، وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو من ثماني عشرة سنة ، وقد كانت من قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة في الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى رفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنه ، فإنها كانت لا تفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين ، فقال : " إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " ، فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل ، فأنبع الله تعالى عينا ، وأمره أن يغتسل منها ، فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا^(١).

١- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ت (٧٧٤) ، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج / ٤ ، ص / ٤٠

لقد ثبتت فاعلية الدعاء في علاج كثير من الأمراض التي يعرض لها الإنسان ، فكم من مريض عجز عنه الأطباء ، فكان شفاؤه دعاء صادقا في جوف الليل ، وكم من داء عجز الطب عن دوائه ، فكان علاجه دعاء خالصا مخلصا مكونا من كلمات ملؤها التضرع والتذلل .